

ما من شاعر مثل هتلر وما من نص مثل القنبلة الذرية

كل من يستطيع التواصل عبر الإنترنت صار يدعي العلم بكورونا



ليس من وظائف الأدب مواجهة الكوارث (لوحة للفنان بسيم الرئيس)

ويمكنني أن أوصل أسئلة هنري ميلر بالقول: ماذا يستطيع شاعر جهلاء وعصريون ولصوص محليون في مواجهة قاتل محترف يسمي نفسه مفتحاً "أبو عزرائيل" ويمشي في شوارع بغداد، حاملاً جميع أنواع الأسلحة، ويعد القتل واجباً علينا يفتح له أبواب الجنة؟

وهل تستطيع جميع أجناس الكتابة أن تدفع القلق عن الملايين من بني البشر ممن أربعتهم أفاعيل فايروس كورونا في جميع بلدان العالم، وإن تذكر مقولة "لا يفل الحديد إلا الحديد"، فليس سوى العلم ورجال العلم في مختبراتهم من إلحاق الهزيمة بفايروس كورونا، كما فعلوا من قبل وكما فعل أسلافهم في العشرين كما فعل هتلر، وهل هناك نص معاصر قلب العالم كما فعلت القنبلة الذرية؟

وهذا التساؤل يقترن بكل الجوائح، وحروب وأوبئة ومفاجآت الطبيعة والمظالم الكبرى، حيث يظهر التناقض بين حال التقدم العلمي والاجتماعي وما تفرزه على الشعوب، الحروب والأوبئة ومفاجآت الطبيعة والمظالم الكبرى، من خراب ودمار.

إن العالم يعيش في فضاء حضاري، وقد شارك في صناعته وتأسيسه وتكريسه، آلاف المبدعين الكبار من مفكرين وفلاسفة وتشكيليين وشعراء وموسيقيين ومعماريين وروائيين ومسرحيين وسينمائيين، قدموا ويقدمون للحضارة الإنسانية أعظم الإنجازات التي لم تستطع أن تدفع حربيين كونيتين دمرتين، وقبلهما وبعدهما مئات الحروب الاستعمارية والشعبية والممارسات الوحشية ضد الشعوب وأوطانها وخصوصياتها

والقومية والثقافية، ولم تلجأ في أن تصون صناديق الاقتراع من أن يتسلل عبرها، ودوليون، أغبياء وعدوانيون، ومن الأمثلة على هذا التناقض: إن مجتمعاً حضارياً مثل المجتمع الإسباني حيث يتواصل الفعل الحضاري في محيط متغير من الرومان إلى القوط إلى العرب إلى القشتاليين، حتى المرحلة المعاصرة، لم يجل دون حرب أهلية شتية وكذلك اليونان، بلاد الفلسفة والملاحم والنحت والشعر والمسرح، غير أنها عانت من عذابات الحرب الأهلية أيضاً.

يقول الكاتب الأميركي هنري ميلر: لا يستطيع الكاتب فعل أي شيء، فمن هو ذاك الشاعر الذي رج العالم في القرن العشرين كما فعل هتلر، وهل هناك نص معاصر قلب العالم كما فعلت القنبلة الذرية؟

ولكي يدفع بعض الناس عن أنفسهم القلق وما عاشوا من ضجر بسبب كونهم الطويل في مسألتهم، صاروا يكتبون أي شيء، ويوزعون على أمثالهم ممن يعصف بهم الضجر والقلق، عبر وسائل الاتصال، فما إن يفتح المرء هاتفه أو جهاز الأبياد، حتى يجد مئات الرسائل والحكايات والتعليقات، فيها الكثير من القديم والمكرر، وفيها من الطريف الذي قد يخفف عنه بعض ما هو فيه.

غير أن الذي لفت نظري وتوقفت عنده وفكرت فيه هو ما سمعته أو قرأته من رسائل حاولت أن تفتح ثغرات في جدران العزلة التي فرضها فايروس كورونا، وما استمعت إليه أو قرأته مصدره اصداق كتاب، يتسألون ماذا يمكن أن نكتب في مواجهة هذه الجائحة، ولو كتبنا، هل سيديف ما كتبه عن الناس قلقهم ومخاوفهم، بل قلقنا ومخاوفنا،

اجتاح كورونا الفكر كما اجتاحت جسد الإنسان. الكتاب العرب إسوة بغيرهم من كتاب العالم باتوا أسرى هذه الكلمة "كورونا"، فهم يدركون أنهم لن يتحرروا من سطوة ما تعنيه، ما لم يردوها ويحيطون بأبعادها الكارثية وظلالها الكئيبة في الحاضر والماضي، فلقد أمسكت الكلمة، بوصفها دلالة على الوباء، مصدراً لتداعيات لا نهاية لها إن عبر لغة الأدب والعلم، أو عبر تاريخ الجوائح.



حميد سعيد
كاتب عراقي

بها، وعدّها مجرد إشاعة تصدر عن دوافع سياسية أو اقتصادية. وقد قرأنا في مجمل ما كتب عنها، من عدّها مؤامرة أميركية تستهدف التقدم الاقتصادي الصيني أو من عدّها خطة صينية ذكية للسيطرة على مليارات الدولارات من الاستثمارات الأجنبية في الصين، ولم يتراجع كثيرون من أصحاب هذا الرأي أو ذلك، عما ذهبوا إليه من نظرية المؤامرة، حتى بعد أن انتشر فايروس كورونا في الصين وفي أميركا، والحق بهما أضراراً كبيرة.

أما على صعيد التنظير للأسباب التي أدت إلى ظهور فايروس كورونا، فقد سمعنا وسمع معنا كل من تابع هذا الموضوع في جميع أنحاء العالم، من الآراء وجهات النظر مما ليس بالإمكان تحديدها ورصدها، والخلاف بشأن أسباب ظهور فايروس كورونا، لم يظهر فقط في أوساط الطائفتين على علوم الجراثيم والفيروسات، حيث اكتشفنا أنهم أكثر مما يمكن توقعه، فكل من يستطيع التواصل عبر وسائل التواصل الحديثة صار يطلق القول على عواهنه ويدعي من العلم ما لم يقل به أكبر المتخصصين في هذه العلوم، بل ظهر الاختلاف في ما يتعلق بأسباب ظهور فايروس كورونا، بين نخبة العلماء وكبار الأطباء، وكان التباين كبيراً بين أصحاب الاختصاص الواحد، ممن اعتدنا أن نرجع إليهم ونبتني مقولاتهم، في هذا الموضوع أو ذلك، بينما تعددت الآراء وتباينت وجهات النظر، حتى ضعت بينها ولم نستطع أن نقرب من الحقائق التي كنا وما زلنا بامس الحاجة إليها، إذ أصبحت حاجة تتعلق بحياة الناس وتستدعي ما يحتاجون إليه من استقرار وأمل وطمانينة.

وما جنّاه المواطن في كل مكان وفي جميع البلدان من هذا التعدد العريض هو القلق والعزلة والمزيد من المصارييف على المعقّمات وما يظن أنها تدفع عنه البلاء من وسائل وأدوات طبية، وهذا ما حملته أكثر من طاقتها، واضطر إلى البقاء في مسكنه، وكثيرون يعيشون في مساكن لا تصلح للبقاء فيها طويلاً.

في الجوائح الكبرى، ومفردها جائحة، ومعناها في اللغة العربية، الداهية أو التهلكة أو البلية، يقف الكاتب عاجزاً، والعجز هنا، هو عدم القدرة على ردها أو المشاركة في ردها. إن ما أعادني إلى هذه المفردة التي كادت تغيب عن التداول، شغفي أو في الكتابة، هو ورودها في بيان منظمة الصحة العالمية في وصفها لكورونا، كما شاهدنا ما فعله هذا الوباء بالناس، إنها جائحة فعلاً.

وقد كانت هذه الجائحة عادلة في توزيع ضارها المسمومة على الدول والجغرافيات والمجتمعات فلم تفرق بين دولة غنية وأخرى فقيرة أو أقل غنى، وبين مجتمع متقدم وآخر متخلف أو أقل تقدماً، كما لم تفرق بين مكونات المجتمع الواحد، إذ شملت في تقديم ضارها المسمومة، الأغنياء والفقراء والرجال والنساء والشيوخ والشباب، وإن كانت الفروق شاسعة في طرق استقبالها والتعامل معها، وفي البحث عن وسائل محاصرتها وردها، وكل أظهر ما عنده وما يتناسب وقدراته، وما يعبر عن وعيه في التعامل معها ودفع شرورها ومخاطرها عنه.

هل تستطيع جميع أجناس الكتابة أن تدفع القلق عن الملايين من بني البشر ممن أربعتهم فايروس كورونا؟

وإن سارع العلماء إلى مختبراتهم واستحضار خبراتهم، لم يجد آخرون غير خزين أوهامهم أو رفوف دكاكين الطيارين، وكما قال أبو الطيب المتنبي "كل امرئ من يهره ما تعوداً". كما انقسم الناس في تحديد مصدر هذه الجائحة، وفيهم من رفض الاعتراف

«النسوة اللاتي...» رواية عن عالم ديستوبي.. والخلاص يبقى في الحب

والرواية بقدر ما تحمله من رؤية قاتمة للمستقبل، فإنها تُعمن في تأمل مجريات الحياة وصراعاتها وتطرح الكثير من التساؤلات عما يمكن أن يجعل "بلد المحيط" أو أي بلد آخر عرضة لمثل هذا المستقبل. وربما يظل مفتاح الحياة في مشاعر الحب.

كما أضفى المؤلف القليل من الفانتازيا على الرواية من خلال ابتكار شخصية شاكر، ذلك الكائن الشفاف الهلامي الذي شارك في الحرب إلى جانب النساء، وكذلك الاستعانة بحكايات من الفلكلور الشعبي مثل قصة المصباح السحري ودمجها في الأحداث.

فتبدو بعض الأحداث مُشابهة لوقائع شهيرة جرت في الحقيقة مثل حدث اغتصاب فتاة على سلم حافلة نقل عام بأحد أكثر ميادين المدينة ازدحاماً، أو رئيس الوزراء الذي يُعاد تدويره أكثر من مرة وتلجأ إليه السلطة في أوقات الأزمات قبل أن تنبذ. لكن يبقى العمل في النهاية محض خيال.

وإعلان عاصمة بلد المحيط مدينة غير صالحة للعيش، موبوءة، وتجميد أنشطة مؤسسة المجتمع المستقيم، ورفع وصايتها على رجال البلد ونسائه، وكف الزواج من دون رغبة الطرفين، وإطلاق سراح العوانس، وإقصاء العزّاب، وإعادة المنفيين لمزارع الصحاري الواقعة خارج العاصمة.

عندما تقسو القلوب ويستشري الفساد ويزداد العنف في "بلد المحيط" تنطلق رحلة بحث عن قصة حب حقيقية تعيد لأهل البلد إنسانيتهم وتتقدم من سوء المصير، إنها رحلة يرسم ملامحها ويتتبع مسارها الكاتب المصري وجدي الكومي في روايته "النسوة اللاتي...".

سامح الخطيب

القاهرة - رواية "النسوة اللاتي..." هي الخامسة في رصيد الكاتب المصري وجدي الكومي إلى جانب مجموعتين قصصيتين. وتتنمى الرواية إلى أدب الديستوبيا أو "المدينة الفاسدة"، وهو المصطلح الحديث المضاد لليوتوبيا "المدينة الفاضلة" التي طالما حلم بها أفلاطون والفارابي وتوماس مور.

«بلد المحيط» هو الاسم الوهمي الذي اختاره المؤلف للبلد الذي أصيب رجاله بالعقم وعجزت نساؤه عن ولادة المزيد من الأطفال



وجدي الكومي يبحث في روايته الجديدة عن ماء الحياة

يتصاعد الصراع وتندلع "حرب الولادة" بين السلطات الحاكمة والميليشيا المسلحة التابعة لها من جانب وبين ميليشيا كونتها "النسوة اللاتي...". وهنا يستنهض الكاتب أفكار القارئ.. اللاتي ماذا؟ ويبقى لكتابة وتوثيق كل ما يجري.

يسرد جون كل ما يجري في "بلد المحيط"، لكن على لسان أهله في شكل تقرير يأتي كل فصل فيه بصوت مختلف عن أصوات باقي الأبطال: المرشد السياحي ذهني وزوجته ياسمين، رجل الأمن السابق حسين المشرجي، رئيس الوزراء السابق عزيز، زعيم المرتزقة بعل زبول، وأخيراً "س.ع الناجي" الرجل الوحيد الذي لم يصبه الوباء واحتفظ بماء الحياة.

مرور الوقت يتعطل جهاز كميوتر جون وتنفذ أوراق تدوينه ولا تنتهي حكايات "بلد المحيط"، لتأتي النهاية مخيبة للأمل سواء للقارئ أو لأبطال الرواية ذاتهم. ورغم انتهاء الرواية تظل ثمة خيوط معلقة بين الخيال والواقع،

تكون هي طوق النجاة. ويصف جون بداية الرحلة "حين أجبرني رؤسائي على المجيء إلى هنا، سألتهم لماذا تهتمون بهذا البلد المنبوذ الواقع على المحيط، وتحاصره الصحراء من كل الجهات؟"، فقالوا "لأن العقم ضرب رجاله منذ فترة، وربما يكون الحب علاجاً ناجعاً، ونرغب في أن تكون أول من يحضر لحظة الشفاء إذا تمت".

تبدأ الرحلة من بيت شاهيناز، الشخصية الأسطورية التي يتجاوز عمرها المئة عام. لكن ملامحها ظلت لفتة في العشريينات من العمر. تعرضت شاهيناز لحادث اعتداء جنسي مريع في أحد ميادين "بلد المحيط" ونبذها المجتمع، فعاثت حياة مأساوية وأصبحت تحمل لعنة تحل على كل من اقترب منها من الرجال، ومع ذلك يعتقد جون ومن أرسلوه أن عندها مفتاح قصة الحب التي ينشدونها. يقيم جون في بيت شاهيناز انتظارا لانقضاء أول خيط لقصة الحب. لكن العنف يندلع في "بلد المحيط" بعد تعامل دموي للسلطات مع اعتصام نسائي للمطالبة "بالاعتراف بالوباء،